MINISYRE OF HIGHER EDUCATION & SCIENTIFC RESEARCH
EDUCATION
UNIVERSITY OF AL-QADISYA
COLLEGE OF EDUCATION
AL-QADISYA JOURNAL FOR
EDUCATIONAL SCIENCES
ISSN 2519-6162ONLINE – PRINT ISSN 2518 – 9174

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية/ كلّيّة التربية
مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم التربوية
التصنيف الدولي

العدد : ١٣٢
التاريخ : ٢٦ / ٦ / ٢٠٢٣

إلى / أ.م.د. رواء نعاس محمد المحترمة
جامعة القادسية / كلية الآداب
الباحثة مها عامر مطر المحترمة
جامعة القادسية / كلية الآداب

م / قبول نشر

تحية طيبة

يسر هيأة تحرير مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ (**تمثّلات الفضاء المكاني في روايات رياض المولى**)، وسيتم نشره في الأعداد القادمة، **مع التقدير** .

أ.د.سرحان جفات سلمان
رئيس التحرير
٢٦/ ٦ /٢٠٢٣

نسخة منه إلى:
- أمانة التحرير .
- الصادرة .
- وحدة الرقابة .

البريد الالكتروني:journal of alaqadisia@yahoo.com
journal of alaqadisia@yahoo.com

01/10/2023 12:04

تمثلات الفضاء المكاني في روايات رياض المولى

أ.م.د. رواء نعاس محمد
جامعة القادسية
كلية الآداب

الباحثة: مها عامر مطر الياسري
جامعة القادسية
كلية الآداب

ملخص البحث

يرتكز الروائي في تجسيد الأمكنة في نصه الروائي على تجاربه المخزونة في ذاكرته، يستثمرها في بناء عوالمه المتخيّلة التي تتجسد في بنية نصه الروائي، بالشكل الذي يجعلها تماثل الواقع، ويمثل هذا البناء المتخيّل المستند الى الأمكنة الواقعية علاقة بين النص الروائي ومتلقيه، ويدفعه الى تمثل الأمكنة ذهنياً، فضلاً عن تمثّل علاقاتها بالحدث السردي وبنائه بوصفها اطراً تضمّ نمو الاحداث وتصاعدها، وبالشخصيات السردية ومرجعياتها الثقافية والفكرية، وصراعاتها.

ومن هنا، يسعى البحث الى الكشف عن تمثلات الفضاء المكاني في المنجز الروائي لرياض المولى المتمثل برواياته الثلاث(جذور القصب، الدكتور عوني، منعطف الرشيد)، لما لهذه التمثلات من أهمية فاعلة على مستوى بناء السرد في الفن الروائي، وقد اشتمل البحث على مقدمة ومتن وخاتمة، منتهجاً المنهج الوصفي المشفوع بآليات التحليل الادبي، لما له من قدرة على تقديم صورة وافية عن الظاهرة الأدبية، ومساحات اشتغالها في النص الادبي بصورة عامة، والنص السردي على وجه الخصوص.

Abstract

In embodying places in his fictional text, the novelist relies on his experiences stored in his memory, investing them in building his physical imaginary worlds that are embodied in the structure of his fictional text, in the form that is embodied in the structure of his fictional text, in the form that presents the similarity of reality, and this imagined construction based on real places between The narrative text and its recipient, and pushes it to mentally represent the places, and the relationship of their relations to the narrative event and its construction from frameworks that include growth and escalation, and to the narrative characters and their cultural and intellectual references, and their struggles.

Hence, the research seeks to reveal the representations of the spatial space in the fictional achievement of Riyad al-Mawla represented by his three novels (The Roots of the Reeds, Dr. Awni, and the Turn of the Rasheed), because of the effective importance of these representations at the level of building the narrative in the novelistic art. The research included an introduction and a body. And a conclusion, adopting the descriptive approach accompanied by the mechanisms of literary analysis, because of its ability to provide a comprehensive picture of the literary phenomenon, and its areas of operation in the literary text in general, and the narrative text in particular.

المقدمة

لم يعد المكان في الرواية المعاصرة عنصراً مجرداً من دلالاته الداخلية او الخارجية، بل تحوّل الى تقنية سردية تمنح النسيج الروائي ابعاداً جمالية، فالمكان بوصفه((الخلفية التي تقع فيها أحداث الراوية))[1]، فإنّ أهميته تتشكّل بعلاقته بعناصر السرد الأخرى انطلاقاً من فكرة ان الاحداث لا يمكن لها ان تقع الا في فضاء مكاني[2]، فهي الوعاء الذي تجري فيها الاحداث وتتفاعل فيه الشخصيات، وهو ما يلقي بظلاله عليها من خلال حدوده وطبيعته، وتبرز اهميته حينما ينهض بمهمة تأسيس المروي وبما يجعل القص المتخيّل مماثلاً لصورة الحقيقة كما يشكل ركناً مكملاً للشخصية ومفسراً للعديد من صفات الشخصية وطبائعها[3].

فهو بنية أساسية لما((يتمتع به من حضور وهيمنة على مقدرات السرد ومعالم تكوّن الشخصية السردية، فهو العنصر الأساس في تشكيل البنية القصصية وفضاء التدليل السردي))[4]، فالفضاء المكاني يرتبط بعلاقة تبادلية مع عناصر السرد الأخرى، فيمنحها قيمة وفاعلية في مسار الأحداث، فحركة الشخصيات تمنح المتلقي تصوّرًا للمكان، بينما يؤسس المكان اطار الشخصية الثقافي، وأسلوب حياتها في النص الروائي[5].

ونلحظ ان الفضاء المكاني جاء متنوّعاً في المنجز الروائي لرياض المولى، ما بين المكان المفتوح والمكان المغلق، وما بين المكان الاليف والمكان المعادي.

اولاً) تمثلات الأمكنة المفتوحة والمغلقة

1) الامكنة المفتوحة

تتصف هذه الأمكنة بالاتساع والتحرر، فتجد فيها الشخصيات ماسحة كبيرة من الحركة لأنها تقع خارج الحدود الضيقة التي تشكّل عائقاً امام تطوّر الشخصية والحدث[6]، وتتجلى أهميتها في((الإمساك بما هو جوهري، أي مجموعة القيم والدلالات المصلة بها))[7]، وقد تشكّلت الأمكنة المفتوحة في روايات رياض المولى من فضاءات متنوّعة تتحدد بالقرية او المدينة.

ففي رواية جذور القصب يأتي المكان المفتوح ليتضمن احداثاً مهمة تساهم في انتاج التحوّلات على مستوى والشخصية، فتبرز القرية بوصفها مكاناً مفتوحة تتضمن احداث القسم الأول من الرواية، ويبرز بستان الشيخ ماهود فضاءً مكانياً ليجري فيه حدثاً فارقاً على مستوى النسيج الروائي، فهروب فرهود وقتله للجندي الإنكليزي حدثان اسمهما في تحوّل مسار الاحداث نحو التصعيد والنمو، ويبدو ذلك في النص الآتي: ((**يأخذ المكان جيئة وذهاباً، وصت نباح الكلاب لم ينقطع، وازيز الجنادب الصادر من باطن الأعشاب الكثيفة، والتي أحاطت بسور البستان الطيني، يمزق هدوء الليل مبدداً صمت الترقب والانتظار**))[8]، يقدّم النص وصفاً مقتضباً للمكان/ بستان الشيخ ماهود، فسوره الطيني يحدد مساحته، في حين نجد ان كثافة الأعشاب حول محيط السور، وكثافتها داخل البستان، فضلاً عن كثافة الأشجار فيه، قد شكّلا مكاناً مناسباً للاختباء من أهالي القرية والجنود الإنكليز، ((**فقفز داخل بستان الشيخ وغاب في الظلام مختبئاً خلف الأشجار والاحراش العالية، توقفت المركبة وترجل الجنود من على ظهرها، وقد اخذت أصواتهم تتعالى في الارجاء، تفرقوا للبحث عن الاثنين الذين اختفيا في دهاليز البستان...**)) [9]، يكشف وصف المكان بهذه الكيفية ان البستان بعيد عن مركز القرية، ويقع على الطريق الخارج منها، وهو ما شكّل نقطة انطلاق للهروب من القرية، فضلاً عن كونه مكاناً صالحاً للاختباء، لاسيما وفرهود يعرفه طرقه ومساربه.

وفي رواية الدكتور عوني، تبرز الصحراء كفضاء مكاني مفتوح، يتضمن حدثاً فارقاً في النسيج السردي، إذ تضمن لقاء الدكتور عوني بالجن، فنجد وصفاً مقتضباً لها، ((**توغل في عمق تلك المنطقة الموحشة، وربض على تلة منخفضة، بانتظار هطول الظلام حتى يشرع بممارسة طقسه المخيف، برزت النجوم بشكل واضح بعدما غاب نجم الشمس وراء الأفق البعيد، وحلَّ الظلام كضيفٍ ثقيل وهو يجثم على صدر الصحراء**

الواسعة، فعمَّ هدوء مطبق لا يسمع خلاله سوى صرير الرياح وهي تدور في زوايا وشقوق التلة الرملية اليابسة))[10]، يرسم النص معالم الفضاء المكاني المفتوح، صحراء مترامية الأطراف، تشتمل على تلال رملية يابسة، تغوص في ظلام حالك لا شيء ينيرها غير النجوم والقمر الذي تكشف عن بعد الصحراء عن مناطق التلوّث الضوئي التي تمنع من بروز النجوم وظهورها بشكل واضح، فالراوي بهذا الوصف يخلق جوّاً مخيفاً يغلب عليه الترقب والانتظار، فيوصله الى المتلقي ليدفعه الى التفاعل مع هذا الفضاء، وتحسس خوف الدكتور عوني وترقبه.

في حين نجد ان رياض المولى قد اهتم بالمكان المفتوح في روايته(منعطف الرشيد)، فرسم معالمه واستقصى جوانبه بالوصف، وقد تمثل المكان المفتوح فيها بالمدينة بشكل أساس، وتأتي القرية في الدرجة الثاني التي يعتمد عليها الراوي كفضاء مكاني لأحداث الرواية، ويتمثل المكان المفتوح في الرواية بتجليات عدة، ومنها الشارع الذي يفتتح الراوي به روايته، **((بين الساحة والجسر، يمتد شارع طويل ومتعرج، توزعت على جانبيه مئات المحلات المتنوّعة والغرف القديمة التي اختبأت خلف زخرف الشناشيل، [...]، انه شارع الرشيد، ذلك الشارع الذي تكمن أهميته في حجم الذكريات التي يحملها بدءاً من تاريخ نشوئه وارتقائه حتى اللحظات المتأخرة من عمر زماننا هذا))**[11]، يرتكز النص على تاريخية هذا الشارع، واحداث أيامه المتوالية، فهو الحاضن لأحداث روايته واغلب امكنتها المغلقة، فينطلق منه الى الإمكان الأخرى التي احتواها هذا الشاعر، بحركة سردية تتوغل في جسد الشارع من الخارج الى الداخل، فنفذ منه الى شوارعه الفرعية وازقة احيائه، والى مبانيه وابواب بيوته.

2) **الامكنة المغلقة**

تتمثل الامكنة المغلقة في السرد الروائي بالمكان الضيق الذي يرسم السرد حدوده، كالبيوت والغرف الداخلية، وتتصف هذا الأمكنة بانها لا تسمح ((للبطل الوحدة والانفراد بالنفس، وبالتالي تحقيق الحرية التي يتهددها وجود الآخر، بل هو مكان خانق ومولد للسأم والضجر))[12]، وهي على الرغم وصفتها هذه، الا انها تمثل((أهم ساحة مكانية تتم فيها الأحداث وتجري فيها عمليات السرد والحوار))[13]، فهي على هذا تشغل مساحة مركزية من نسيج السرد.

وقد تضمنت روايات رياض المولى امكنة مغلقة، أسهمت في منح السرد دفقة حكائية، ففي رواياته(جذور القصب)، لم ينصب اهتمام السارد على المكان بشكله العام او الأمكنة المغلقة على نحو الخصوص، إذ جاء وصفها مختصراً في حدود ما يخدم الحدث السردي، وهذا ما نجده في النص الآتي: **((مقهى شكر الواقعة على خاصرة الحي العشوائي، متنفس الشباب، ومرتع الشياب، واستراحة الهاربين من صخب الحياة وضغط العمل وصعوبة المعيشة، كانت عبارة عن غرفة كبيرة مسقوفة بعمدان من الخشب والحصير، وتوزعت حول أركانها تخوت خشبية شبه محطمة، امتدت الى ساحة خارجية واسعة، فُرِشت مقاعدها بالحصير، وقد تصدّر الحاج شُكر صدر المقهى، وهو يضع امامه طاولة صغيرة يجمع بها اثمان الشاي والاراكيل والمشروبات الباردة))**[14]، يرسم النص معالم المكان المغلق المتمثل بمقهى شعبي بسيط، يكشف عن حالة الفقر والعوز التي كان عليها سكان الحي العشوائي الذي يمكن للمتلقي معرفة انهم سكان وافدون من المناطق الجنوبية، فيكشف النص عن تفاصيل المكان بالشكل الذي ينتقل فيه الوصف من الخارج الى الداخل.

وفي رواية(الدكتور عوني)، نجد المكان المغلق قد اسمهم في الكشف عن طبيعة الحدث، وتقديم صورة عنه، ففي النص الآتي: **((حتى وصل الدكتور عوني ورفيقه الى الصف الأول الذي سيباشر فيه الشيخ أبو تقي الفحص والعلاج الروحاني، وقد تجوّل ببصره وهو يعاين المكان، غرفة واسعة نوعاً ما، معلق على حائطها الرطب من جهة الشيخ قماش من القطيفة الثقيلة خضراء اللون، عليها نقوش وزخارف متداخلة، تحمل أسماء الائمة الاثني عشر مكتوبة على اطراف القماش، وقد توزعت صورهم على بقية صفحات الجدران، فضلاً عن وجود بعض الآيات القرآنية وهي محاطة بإطارات من الخشب، ورائحة بخور نفاذ يعبق بالمكان ممتزج مع روائح اقدام المراجعين))**[15]، يقدّم النص صورة عن المكان المغلق، ويضيء الحدث للمتلقي، إذ يكشف النص عن حرص الشيخ تقي على إيجاد العلاقة بين الدين والعقيدة وبين عملهم، ويتضح هذا عبر الثيمات الإسلامية التي يحرص الشيخ على تعليقها على جدران المكان، وتقديمها كسلطة على المراجعين، فيما يكشف النص عن المدى الفكري الذي يعتقد بهذه الاساليب التي يتبعها هؤلاء الشيوخ الذين يدعون معرفتهم بالغيب، ومعالجتهم لمختلف الامراض.

وفي رواية(منعطف الرشيد) نجد اهتمام المولى بالمكان المغلق، فيقول في وصف الفندق: **((فندق السعادة جزء لا يتجزأ من تراث ذلك الشارع، حتى رطوبته امتدت اليه من جذوره الموغلة في أعماق وغبار السنين**

المتطاير من صخب الشارع، قد علق على ثنايا الجدران، وتغلغل في زواياه، اما بوابته الخشب الضيقة التي توشحت بزخرفة قديمة الطراز وذات دلالة فارسية هي الأخرى لا تقل شأناً عن عراقة هذا الشارع، وقد اكتست حواشيه ببقايا الدهن المتطاير من مطعم للفلافل مجاور وقريب، فاستحال لونه الى سواد باهت بعد ان ضاعت ملامح لونه الاصلية، وقد علته قطعة خشب مائلة قليلاً على احد الجوانب مصبوغة باللون الأزرق، وقد خطّ في وسطها عبارة فندق السعادة باللون الأبيض بخط التعليق او الفارسي، وقد تقشرت اصباغ هذه القطعة الخشب وانبعجت جوانبها حتى أصبحت كأرض يابسة، ويكمن خلف هذا الباب سلم متهرئ، اضمحلت زواياه الحادة حتى باتت متآكلة من فرط الاستخدام والرطوبة))[16]، يكشف النص عن طبيعة المكان الذي كانت تجري فيه الاحداث، فضلاً عن تضمنه قصص الشخصيات، فصار هذا المكان نقطة انطلاق احداث الرواية وتفاصيل احداثها، ونجد ان المولى بهذا الوصف يحيل المتلقي الى القصص التي تحتويها هذا الفندق بوصفه مكاناً قديماً، يتضح هذا من وصفه بانه(جزء من تراث هذا الشارع)، ، فضلاً عن اشارته الى عدم اهتمام صاحب الفندق به، وقد أشار الروائي لهذا المعنى بقوله: **((كونه يحتاج الى مصروفات كبيرة))**[17]، واقتصر اهتمامه على الترميم الضروري.

لقد شكّل المكان المغلق بنية سردية أساسية من بنى النسيج السردي في روايات راض المولى، وقد جاء الاهتمام به في الروايات الثلاث متنوّعاً بين الاسهاب في وصفه، كما في رواية منعطف الرشيد، وبين الاقتضاب في روايتي جذور القصب والدكتور عوني، بما يسمح به القصّ، ويخدم الحدث او الشخصية، فضلاً عن كون الأمكنة المغلقة قد جاءت امكنة واقعية.

ثانياً) تمثلات الأمكنة الاليفة والمعادية

1) المكان الاليف

يكون المكان اليفاً بالنسبة للشخصية اذا كان محبباً لها، فتشعر فيه بالراحة والاطمئنان، وهو عنصر سردي يمنح الذاكرة الصور الباعثة على الحياة، فالمكان الاليف هو((البيت الذي ولدنا فيه، انه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكّل فيه خيالنا، فالمكانية في الادب هو الصورة التي تذكرنا او تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة))[18]، وهو على وفق هذا التصوّر يتمثل في((مجموعة من الصور التي تعطي الإنسانية براهين أو أوهام التوازن، ونحن نعيد تخيل حقيقتها باستمرار))[19]. إذ تترابط هذه الصور لتشكّل قوة

فاعلة في النسيج السردي[20]، ولهذا كان المكان الاليف حاضراً في المنجز الروائي لرياض المولى، ففي رواية(جذور القصب)، يمثل العراق مكاناً اليفاً بالنسبة لشخصية(احمد)، ويتضح هذا في النص الآتي: ((**قالت كلاماً رومانسياً جميلاً، الوطن ليس جنسية وحسب، بل ذكريات جميلة واشخاص احببتهم واحبوك، لقد نضجت براعمك هنا احمد، فلماذا تريد المغادرة...، لكني اخبرتها بانني منتمي لجذوري، البراعم ربما تذوي وتموت لكن الجذر يبقى منغرساً في عمق الماضي، وماضيَّ هو هويتي التي اتكأ عليها**))[21]، يكشف النص عن علاقة الشخصية بالمكان بوصفه مكاناً اليفاً، ويرصد التحوّل في الأمكنة وعلاقاتها مع الشخصية، ويرتكز هذا التحوّل على توظيف الماضي وجعله ثيمة حاضرة في النفس والوجدان، تتشكّل فيه ذكريات الطفولة، ويتكئ على مرجعية قروية في تقديم حجاجه الذي يرسم ابعاد هذه العلاقة غير القابلة للانقطاع، على الرغم من العدائية التي شكّلها هذا المكان في فترة زمنية سابقة.

اما في رواية الدكتور عوني، فنجد ان المكان الاليف قد رسم ابعاد العلاقة بشخصية الدكتور عوني، حين يجعل من شقته ملاذاً آمناً على الرغم مما يحيط بها من احداث صاخبة، ويبدو هذا في النص الآتي: ((**دخل غرفته، وتمدد على سريره، وما زالت هواجس الوضع الجديد تحاصره من كل جانب، أغمض عينيه في محاولة للاستسلام لسلطان النوم، مبعداً عن ذهنه كل الأشياء السلبية ليظفر بالصفاء والهدوء، حتى غطس في بحر النوم وكأنه لم ينم منذ سنين**))[22]، يقدّم النص الشقة مكاناً اليفاً للدكتور عوني، لاسيما بعدما حصل في رحلته الى العالم السفلي، وغيابه عشر سنوات كاملة، وتبدو إشارات المكان الاليف واضحة في النص، وتتمثل بقوله(ليظفر بالصفاء والهدوء)، وهي دلالات تحيل المتلقي الى دلالة المكان الاليف الذي وجدت فيه الشخصية راحتها واطمئنانها النفسي الذي تمثل في النوم العميق.

وفي رواية منعطف الرشيد، يأتي المكان الاليف ليشغل مساحة من نسيج الرواية، ففي النص الآتي: ((**دأب أستاذ رافع على مغادرة الفندق الذي كان يقطنه مبكراً، وقد اتخذ له غرفة صغيرة في الطابق الأول يسميها الصومعة، حيث كانت له ملاذاً لفترة طويلة جداً، قضى فيها اكثر من ثلث عمره، ثمّ يتوجه الى المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه**))[23]، يقدّم النص العلاقة بين المكان الاليف المتمثل بالغرفة الصغيرة وشخصية الأستاذ رافع، فعلى الرغم من وكنها مكاناً غير مملوكاً للشخصية، الا انه وجد فيها شعوراً بالطمأنينة الى الحد الذي اطلق عليها تسمية(الصومعة) ليشيع على المكان ارتباطاً روحياً، يمكن له ان يشكّل

ملاذاً آمناً له، وثمة مكاناً اليفاً آخر رسمه النص، ويتمثل هذا المكان بالمقهى الذي اعتاد الجلوس فيه، وهذا الاعتياد خلق علاقة شعورية بينه وبين هذا المكان، منحته صفة المكان الاليف.

2) **المكان المعادي**

وهي الأمكنة التي ((لا يشعر الإنسان بالألفة نحوها، بل على العكس من ذلك شَعرَ نحوها بالعداء، وهذهِ الأماكن أما أن يقومَ فيها الإنسان مُرغماً كالسجون والمعتقلات والمنافي، أو أنَّ خطر الموت يكمن فيها لسبب أو لآخر كالصحراء مثلاً))[24]، فالأمر مقعود على العلاقة بين الأمكنة وبين الشخصيات وشعورها تجاه تلك الأمكنة، وما تتركه من اثر نفسي على تلك الشخصيات، مما يعزز الشعور نحوها بالنفور، فضلاً عن الإمكان التي تهدد الحياة او تقيّد الحريات، وعلى وفق هذه العلاقة، يتضح ان الأمكنة المعادية لا تدخل في دائرة الاختيار، وغالباً ما توضع بها الشخصيات الروائية قسراً في هذه الامكنة، ويمكن ان تتولد هذه العدائية للأمكنة نتيجة ضغوط خارج إرادة الشخصيات أو قد تكون مدفوعة إليهِ، استجابة لنداء وطني، حينما يتهدد أمن الوطن مثلاً.

وقد جاءت الأمكنة المعادية متنوّعة بين الأمكنة المغلقة والمفتوحة في روايات رياض المولى، ففي رواية جذور القصب، مثلت قرية الشيخ ماهود مكاناً معادياً لـ(فرهود)، لاسيما بعد رفض طلبه بالزواج من(فدعة)، وعلاقته السيئة بالسركال، ويتضح هذا في النص الآتي: ((**لم يكن فرهود مقرباً من الشيخ او من رواد ضيفه، ولا حتى من السركال وزبانيته، وقد ابعدوه قسراً، واكتفى الشيخ بجعله فلاحاً ببستانه الخاص، لقاء اجر محدود، وحتى تلك الوظيفة لم تكن لولا تدخل الملة، شيخ المسجد ومؤدب الصبيان**))[25]، يبدو في النص مدى علاقة فرهود بمن حوله من شخصيات مؤثرة في القرية، الامر الذي جعلها مكاناً معادياً بالنسبة له، فالأثر النفسي الذي فرضه تعامل هذه الشخصيات معه، جعله محاصراً، منبوذاً، لا يشعر بسلام فيه، وقد زاد من عدائية القرية بوصفها مكاناً، رفض الشيخ ماهود طلبه بالزواج من(فدعة)، فضلاً عن حادثة قتل الجندي الإنكليزي، وهو ما عمّق هذه العدائية، وجعله يتحوّل منه الى مكانٍ آخر.

وفي رواية الدكتور عوني، نجد ان المكان المعادي حاضراً في النسيج الروائي، فقد مثّل العالم السفلي مكاناً معادياً، لاسيما بعد أفقده هذا العالم عشر سنين من عمره، ويتضح هذا في النص الآتي: ((**لقد حشر نفسه في زاوية ضيقة من زوايا العالم السفلي والمنسي، فلا رجوع الى عالم الواقع، والامر أصبح برمته**

مثل كابوس ثقيل جثم على صدره، وشلّ حركته، فاخذ يضطرب اضطراباً شديداً، وصل خلاله الى حالة حرجة، ظهرت على هيأته الجسدية الواقعية، مما اضطر الدكتور فهمي على إيقاف الجلسة وانتشال الرجل من باطن العالم السفلي))[26]، يعمّق الراوي من عدائية العالم السفلي بوصفه مكاناً، عبر توظيفه مجموعة من الالفاظ التي تدلّ على الأثر النفسي والجسدي على شخصية الدكتور عوني، فنجد الفاظاً مثل(حشر، زاوية ضيقة، المنسي، كابوس، ثقيل، جثم، شلّ، اضطرب، حالة حرجة)، كل هذه الالفاظ وتوظيفها بتصوير يبعث على الخوف عدم الطمأنينة، يجعل من العالم السفلي مكاناً معادياً بالنسبة لشخصية الدكتور عوني، ولعل في تشبيه الراوي للدخول الى العالم السفلي بالـ(كابوس) بكل ما لها من دلالة على السيطرة، وسلب الإرادة، بوصفها قوة قاهرة، اثر نفسي باعث على مغادرة هذا المكان، والرجوع الى الواقع، الذي لم ينفصل عن هذه الرحلة، فامتدّ اليه تأثير العالم السفلي، وبدا واضحاً بحسب الراوي على هيأة الدكتور عوني الجسدية.

اما في رواية منعطف الرشيد، فقد مثّل السجن مكاناً معادياً صريحاً، عبر نقل ما يشعر به المسجون او المعتقل من وضع نفسي مزرٍ، ويتضح هذا في النص الآتي: **((السجن عالم غريب، مغلق، وقائم بذاته، ولا يختلف عن العالم الخارجي سوى ان الأخير مفتوح، والثاني مغلق على نفسه، وعلى السجين ان يتعامل مع الآخرين بحذر، وان ينتمي الى مجموعة معينة، وأن لا يبقى وحيداً، فالوحدة منبوذة داخل السجون لأنها نقطة ضعف ممكن اختراقها بسهولة من قبل الآخرين الذين سرعان ما يستحوذون على السجين، وقد يعتدون عليه او يغتصبونه او يسرقون حاجياته الخاصة، وقد يستعبدونه لتنفيذ طلباتهم الشخصية، والحل هو الركون الى مجموعة معيّنة قد تحمي ذلك السجين من طمع بقية الجماعات القوية والعصابات المتشكّلة داخل الزنازين))**[27]، يقدّم النص وصفاً للسجن، وما يمكن ان يتضمن من احداث او وقائع تجري مجرى الحدوث اليقيني، بوصفه مكاناً له قوانينه التي تسلب إرادة الانسان، فالعدائية في هذا المكان عدائية مركبّة، أولاً من جهة تقييد الحرية المفروضة من سلطة الدولة او القانون، وثانياً من جهة سلوك الشخصيات التي تقبع بين جدرانه، وبهذا فالسجين يعاني أزمات مركبة، ولابدّ له ان ينضوي تحت تجمّع ما، يحميه من شرور التجمعات الأخرى، وحتى الانتماء يفرض عليه الا يكون آمناً على نفسه.

ونجد ان النص أسهب في وصف هذا المكان المعادي، والافعال التي من الممكن ان تحدث فيه للسجين المسالم، وقد استعمل الالفاظ الدالة على الحرية المسلوبة، والمواقف المفروضة عنوة من دون ان يكون للسجين خياراً آخر، يضمن له سلامة البقاء.

لقد وظّف رياض المولى المكان المعادي في نسيجه السردي لتصوير الاحداث والشخصيات ومرجعياته، والآثار النفسية التي تعانيها بفعل هذه الأمكنة، وما تحيط هذه الشخصيات من قلق وخوف، سواءً بفعل المكان ذاته، او بفعل ما يشتمل عليه المكان، وقد تنوّعت هذه الأمكنة بين الأمكنة المغلقة والامكنة المفتوحة، في حين استحضر المولى السجن بمساحة كبيرة قياساً بالأمكنة الأخرى، التي تمثلت بالقرية او المؤسسات الأمنية، او بيوت الدعارة، وامتدّ المكان المعادي ليشمل الكرسي المتحرك بما يتضمن تقييد للحركة، وباعثاً على الشعور بالنقص.

مما تقدّم يتضح لنا، تراكم التجربة الروائية ما بين الرواية الأولى(منعطف الرشيد)، وما بين الروايتين الآخريين(الدكتور عوني، جذور القصب)، على مستوى توظيف المكان، فقد احتل المكان ووصفه درجة كبيرة في(منعطف الرشيد)، قياساً بروايتي(الدكتور عوني، جذور القصب)، وقد أدى توظيف المكان في هذه الروايات دوراً مهماً في تصوير حدود الحدث السردي، او بيان اولياته، او في رسم الأثر النفسي لهذه الأمكنة على اختلاف أنواعها على الشخصيات ومواقفها.

الخاتمة

مثلت بنية المكان بنية أساسية في روايات رياض المولى الثلاث(جذور القصب، الدكتور عوني، منعطف الرشيد)،، فقد اشتملت هذه الروايات على الأمكنة المغلقة والمفتوحة، والاليفة والمعادية، وقد اتضح بصورة واضحة تراكم الخبرة السردية في توظيف الفضاء المكاني، واستثمار تمثلاته في بناء الحدث السردي واضاءة الشخصيات السردية.

وقد كشف البحث عن اهتمام رياض المولى بالمكان المفتوح والمغلق في الروايات الثلاث، فجاءت معالجته متنوّعة بين الاسهاب في وصفه، كما في رواية منعطف الرشيد، وبين الاقتضاب في روايتي جذور القصب والدكتور عوني، بما يسمح به القصّ، ويخدم الحدث او الشخصية، فضلاً عن كونها امكنة واقعية.

اما على مستوى الأمكنة الاليفة والمعادية، فقد استثمر المولى ثيمة التحوّل من المكان الاليف الى المكان المعادي، مما جعل من ثنائية الاليف/ المعادي ثنائية حاضرة في المستوى السردي للروايات، وهو ما مكّن الشخصيات السردية من تجسيد فكرة الهروب والخلاص، والبحث عن الأمكنة الآمنة.

مما تقدّم يتضح لنا، تراكم التجربة الروائية ما بين الرواية الأولى(منعطف الرشيد)، وما بين الروايتين الآخريين(الدكتور عوني، جذور القصب)، على مستوى توظيف المكان، فقد احتل المكان ووصفه درجة كبيرة في(منعطف الرشيد)، قياساً بروايتي(الدكتور عوني، جذور القصب)، وقد أدى توظيف المكان في هذه الروايات دوراً مهماً في تصوير حدود الحدث السردي، او بيان اولياته، او في رسم الأثر النفسي لهذه الأمكنة على اختلاف أنواعها على الشخصيات ومواقفها.

(1) تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحداثية، محمد عزّام: 162.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 99.

(3) ينظر: المكان في قصص هادي الفهادي(دراسة تحليلية)، د. نبهان حسون السعدون(بحث): 3.

(4) التشكيل السردي المصطلح والإجراء، د. محمد صابر عبيد: 83.

(5) ينظر: الخبر في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري(دراسة في ملامح السرد القصصي)، لمى شمخي جابر(رسالة ماجستير): 82.

(6) ينظر: المكان في الرواية العربية، عوض سعيد عوض(بحث): 239.

(7) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: 79.

(8) جذور القصب: 19.

(9) جذور القصب: 36. وينظر: 71، 79، 135، 210،

(10) الدكتور عوني: 39.

(11) منعطف الرشيد: 11، وينظر: 77،

(12) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د. شجاع مسلم العاني: 62.

(13) الفضاء الروائي عند ابتسام عبد الله، دراسة فنية، منى زيدان ذياب (رسالة ماجستير): 105.

(14) جذور القصب: 104. وينظر: 47، 84، 173، 283.

(15) الدكتور عوني: 25، وينظر: 9، 50، 103.

(16) منعطف الرشيد: 12. وينظر: 77، 86، 88، 93، 308، 314، 334، 361، 368.

(17) منعطف الرشيد: 13.

(18) جماليات المكان، غاستون باشلار: 6.

(19) المصدر نفسه: 55.

(20) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د. شجاع مسلم العاني: 99.

(21) جذور القصب: 12-13.

(22) الدكتور عوني: 51.

(23) منعطف الرشيد: 21. وينظر: 53، 71، 88، 109، 205، 207، 308.

(24) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق: 192.

(25) جذور القصب: 19، وينظر: 20، 49، 165، 187، 286.

(26) الدكتور عوني: 187، وينظر: 122، 124، 140، 148، 208.

(27) منعطف الرشيد: 334، وينظر: 30، 174، 262، 274، 314، 361، 380، 384.

المصادر والمراجع

- البناء الفني في الرواية العربية في العراق: د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994م.
- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.
- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، محمد عزّام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2003م.
- التشكيل السردي المصطلح والإجراء، د. محمد صابر عبيد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011م.
- جذور القصب، (رواية)، رياض المولى، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2022م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984م.
- الخبر في كتاب الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي للمعافي بن زكريا(ت390هـ) دراسة في البناء والتشكيل، هدى بازول فرهود، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2020م.
- الدكتور عوني(رواية)، رياض المولى، دار سطور، بغداد، ط1، 2019م.
- الفضاء الروائي عند ابتسام عبد الله -دراسة فنية-، منى زيدان ذياب المشهداني، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2002م.
- المكان في الرواية العربية، عوض سعيد عوض، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة السورية، السنة 41، العدد 473، 2003م.
- المكان في قصص هادي الفهادي(دراسة تحليلية)، د. نبهان حسون السعدون، مجلة دراسات موصلية، العدد 29، ايار 2010م.
- منعطف الرشيد(رواية)، رياض المولى، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2016م.